صورة الاستشراق وخلفيَّاته في الصِّراع الحضاري .

د. ججيقة بسوف

جامعة عبد الرحمان ميرة

بجاية

ملخص:

الاستشراق ظاهرة قديمة وهو من بين الظواهر التي وقع حولها الصراع، نتيجة العداء بين الدينين (الإسلامي والمسيحي)، وما يكنه الدين المسيحي من حقد للدين الإسلامي، لذا شرع المستشرقون في دراسة تاريخ الأمة الإسلامية، واتسعت دائرة اهتمامه لتشمل لغاتها وعاداتها وتقاليدها، وطريقة تفكير أهلها، وكان جل تلك الدراسات يكتنفها التحريف والتزييف، رغبة في الانتقام من الدين الإسلامي الحنيف وتشويه صورته.

الكلمات المفاتيح:الاستشراق، خلفيات .

Abstract:

Orientalism is an old phenomenon, it's one of the phenomena in which conflict occurred, as result of the hostility between religions (Islamic and Christian) and the hatred and destruction that is shown by the Christian religion towards the Islamic one. Therefore, orientalism began to study the history of the Islamic nation .the study that expanded to include its language, costumes, traditions and the way of thinking. These studies are surrounded by distortion and counterfeiting in the aim to take revenge on the Islamic religion and distort its image.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

مقدمة:

هذا المقال يعنى بظاهرة الاستشراق ويهدف بالدراسة والتحليل إلى إلقاء الضوء على مساهمة هذا التيار في تغذية الصراع الحضاري والفكري بين الدول الغربية والدول الشرقية، وهو اتجاه فكري يهتم بدراسة حضارة الأمم الشرقية بصفة عامة وحضارة الإسلام والعرب بصفة خاصة.

فضلا عن ذلك يعد الاستشراق حركة مسخرة لخدمة النزعة الاستعمارية التي تسعى إلى تقوية النفوذ الغربي في الدول العربية، ويشكل الخلفية والمرجعية للتنقيب وتتبع آثار الشرقيين قصد القضاء نهائيا على حضارتهم وآدابهم ولغاتهم وثقافتهم، وتشويه صورة الدين الإسلامي الحنيف، وذلك بتحريف حقائقه، وتسعى إلى التشكيك في اللغة العربية، وإحياء العصبية القبلية، كما تهتم بزعزعة الثقة في نفوس أدباء الأمة الإسلامية قصد فرض السيطرة الاستعمارية في الدول الإسلامية. فما معنى الاستشراق؟، وفيم تكمن أهدافها ؟،وما هي الوسائل التي تسخرها الدول الغربية للقضاء على الدول الإسلامية؟، وما هي الجوانب الخفية الكامنة وراء هذا التيار الاستعماري؟.

1-في مفهوم الاستشراق :

أ – لغة: اشتقت كلمة "استشراق" من مادة (ش ر ق)، يقال: شرقت الشمس شرقا وشروقا، إذا طلعت، وشرق: أخذ في ناحية المشرق والشارق: الجانب الشرقي".[1] ويقال:"شرقت الشمس: طلعت، وبابه نصر ودخل"[2].

وجاء في (الموسوعة الميسرة) أنه:"ذلك التيار الفكري الذي تمثل في الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي شملت حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته"[3].

ب– اصطلاحا: «الاستشراق هو علم الشرق أو العالم الشرقي»[(4)].

جـ–الاستشراق من وجهة نظر العرب:

اختلفت الرؤى وتشعبت المفاهيم بين النقاد والأدباء حول مسألة (الاستشراق)، وتحدث عنه الكثير في كتاباتهم كأحمد حسن الزيات الذي يقول: «يراد بالاستشراق اليوم دراسة الغربيين لتاريخ الشرق وأممه ولغاته وآدابه وعلومه وعاداته ومعتقداته وأساطيره ولكنه في العصور الوسيطة كان يقصد به دراسة العبرة لصلتها بالدين ودراسة العربية لعلاقتها بالعلم، إذ بينما كان الشرق من أدناه إلى أقصاه مغمورا بما تشعه

---

[1] – مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ط2، دار المعارف، مصر، القاهرة، 1972، ص48.

[2] – محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، 1988، ص141.

[3] – الندوة العالمية للشباب الإسلامي: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الرياض، ط2، 1989، ص33.

[4]– رودي بارت : الدراسات الإسلامية والعربية في الجامعات الألمانية، تر: مصطفى ماهر، القاهرة، مصر، 1967، ص11 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

منارات بغداد والقاهرة من أضواء المدنية والعلم كان الغرب من بحره إلى محيطه غارقا في غياهب من الجهل الكثيف والبربرية الجموح»[5].

فالاستشراق بحسب ماورد في قول الزيات يعد عملية دراسة وتحليل الدول الغربية للدول الشرقية دراسة تاريخية معتمدة على (العادات والتقاليد، اللغة، ومختلف علومه)، وقديما كانت تدرس من ناحية الدين ومختلف علومه؛ لأن الدول الشرقية كان يعمها العلم خاصة (بغداد والقاهرة)، وفي المقابل كانت الدول الغربية يسودها الجهل والأمية.

ويرى محمد عبد الغني حسن أن «الاستشراق هو اشتغال غير الشرقيين بدراسة لغات الشرق وحضاراته وفلسفاته وأديانه وروحانياته وأثر ذلك في تطور البناء الحضاري للعالم كله»[6].

وعليه يمثل الاستشراق دراسة الغربيين للغات الدول الشرقية ولحضارتها التي لا تمت بصلة لهم لكشف أثرها في ازدهار العالم بأسره.

ويقول مالك بن نبي:"إننا نعني بالمستشرقين الكُتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي، وعن الحضارة الإسلامية"[7]، ويقصد بالمستشرقين كل المؤلفين الغربيين الذين يهتمون بعملية تدوين كل ما يتعلق بالحضارة الإسلامية العريقة.

وهذا ما ذهب إليه علي خليل مصطفى أبو العينين الذي يرى أن:"المستشرقين هم رجال العهد القديم، وحملة الصليب في الكنائس أولا، انتقلوا بعدها إلى الجامعات ليكونوا علماء، وليباشروا البحث العلمي في التراث الروحي والثقافي والحضاري لشعوب الشرق..."[8]

أما محمود حمدي زقزوق، فيقول إن:" الاستشراق إيديولوجية خاصة يراد من خلالها ترويج تصورات معينة عن الإسلام، بصرف النظر عما إذا كانت هذه التصورات قائمة على حقائق، أو مرتكزة على أوهام وافتراءات"[9]

ومنه فالاستشراق هي الخطة الجهنمية التي تنتهجها الدول الغربية، وتهدف من خلالها إلى تشويه صورة الإسلام، قصد القضاء على معالمه وحضارته.

---

[5]- أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي، دار النهضة مصر للطبع ، القاهرة،،مصر، (د.ت)، ط25، ص 512 .

[6]- محمد عبد الغني وحسن عبد الله الفكري: سلسلة أعلام العرب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة،مصر،القاهرة،1957 ، ص 89.

3- مالك بن نبي: إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، ط1، مكتبة عمار للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،1997 ،ص7.

[8]- علي خليل مصطفى أبو العينين: فلسفة التربية في القرآن الكريم، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1989،ص32.

[9] - محمود حمدي زقزوق: قضايا فكرية واجتماعية في ضوء الإسلام، دار المنار، ،القاهرة، مصر1988، ص81-82.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2- نشأة الاستشراق:

اختلف الأدباء والنقاد حول مسألة تحديد الفترة الزمنية لبداية الاستشراق، فكل واحد ينظر إليه بنظرته الخاصة، وقد ذهب محمد البهي إلى أن الاستشراق بدأ في بعض البلدان الأوروبية في القرن الثالث عشر الميلادي. على الرغم من اعترافه بإمكانية وجود محاولات فردية قبل ذلك ثم يؤكد أن المؤرخين يكادون يتفقون على أن هذا العلم قد انتشر بصورة جدية بعد الإصلاح الديني الذي قام به مارتن لوثر وغيره في أوروبا".[10]

أما محمود حمدي زقزوق يذهب إلى أن "البدايات الأولى للاستشراق ترجع إلى القرن الحادي عشر"[11]

بينما أرجعها (حسيني الخربوطلي)إلى:"العصور الوسطى الإسلامية دون تحديد تاريخ معين"[12]

2.دوافع الاستشراق: للاستشراق دوافع عدة ومنطلقات متنوعة يمكن إدراجها في العوامل الآتية:

أ-الدافع الديني:

من بين الدوافع الجوهرية للاستشراق الدافع الديني الذي بدأ عن طريق المبشرين أي رجال الدين الذين يحاولون في كل مرة تشويه الدين الإسلامي الحنيف وتحريفه، وذلك عن طريق نعت المسلمين بأتفه النعوت (لصوص، قطاع الطرق، بربريين...)، قصد ترويج الدين المسيحي بكل الوسائل المادية والبشرية التي تغري الآخر.

يقول مصطفى السباعي: "لا نحتاج إلى استنتاج وجهد في البحث لنتعرف إلى الدوافع الأولى للاستشراق عند الغربيين وهو الدافع الديني. فقد بدأ الرهبان ... واستمر كذلك حتى عصرنا الحاضر كما سنرى وهؤلاء كان يهمهم أن يطعنوا في الإسلام ويشوهوا محاسنه ويحرفوا حقائقه ليثبتوا لجماهيرهم التي تخضع لزعامتهم الدينية أن الإسلام – وقد كان يومئذ الخصم الوحيد للمسيحية في نظر الغربيين – دين لا يستحق الانتشار، وأن المسلمين قوم همج لصوص وسفاكو دماء، يحثهم دينهم على الملذات الجسدية ويبعدهم عن كل سمو روحي وخلقي، ثم اشتدت حاجتهم إلى هذا الهجوم في العصر الحاضر بعد أن رأوا الحضارة الحديثة قد زعزعت أسس العقيدة عند الغربيين وأخذت تشككهم بكل التعاليم التي كانوا يتلقونها عن رجال الدين عندهم فيما مضى، فلم يجدوا خيرا من تشديد الهجوم على الإسلام لصرف أنظار الغربيين عن نقد ما عندهم من عقيدة وكتب مقدسة، وهم يعلمون ما تركته الفتوحات الإسلامية الأولى ثم الحروب

---

[10] – محمد البهي: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص532.

[11]– محمود حمدي زقزوق: قضايا فكرية واجتماعية في ضوء الإسلام، ص16-17.

[12]– علي حسني الخربوطلي: المستشرقون والتاريخ الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر،1988،ص27.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الصليبية ثم الفتوحات العثمانية في أوروبا بعد ذلك في نفوس الغربيين من خوف من قوة الإسلام وكره لأهله، فاستغلوا هذا الجو النفسي، وازدادوا نشاطا في الدراسات الإسلامية"[13].

وهذا ما نلاحظه للأسف في عصرنا المعاصر، عن طريق الترويج لحضارتهم المتطورة والمغرية ،مقابل نقد الحضارة الشرقية المدمرة أثناء الفتوحات الإسلامية، حيث يتجلى خوفهم الدءوب من قوة الحضارة الإسلامية وعظمتها، مما ولد في نفوسهم حب الاطلاع ودراسة الثقافة الشرقية لاكتشاف مواطن القوة والضعف فيها.

فالاستشراق يهدف إلى "نشر الديانة المسيحية وتبليغ دعوتها، وتصوير الإسلام بما يثبت به فضل المسيحية ورجحانها على الإسلام، ويبعث في الطبقة المثقفة إعجابا بالمسيحية وحرصا عليها، ولذلك نرى أن الاستشراق وتبليغ الديانة المسيحية يسيران معا في أغلب الأحوال، وأن عدد المستشرقين الأكبر أساقفة، وعدد كبير منهم يهود ديانة وجنسا "[14]

وكان الهدف الأسمى من وراء عملية الاستشراق بسط نفوذ الديانة المسيحية ونشر دعوتها، على حساب تشويه صورة الدين الإسلامي الحنيف، وكذلك جذب أقطاب الطبقة المثقفة إلى دينهم المسيحي عن طريق إغراءاتهم.

ب- الدافع الاستعماري:

لما انتهت الحروب الصليبية بهزيمة الصليبيين وهي في ظاهرها حروب دينية في حقيقتها حروب استعمارية، وحين يئس الغربيون من العودة إلى احتلال بلاد العرب وبلاد الإسلام اتجهوا إلى دراسة هذه البلاد في كل شؤونها من عقيدة وعادات وأخلاق وثروات ليتعرفوا إلى مواطن القوة فيها فيضعفوها وإلى مواطن الضعف فيغتنموها، ولما تم لهم الاستيلاء العسكري والسيطرة السياسية كان من دوافع تشجيع الاستشراق إضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوس العرب، وبث الوهن والارتباك في تفكيرنا وذلك عن طريق التشكيك بفائدة ما في أيدينا من تراث وما عندنا من عقيدة وقيم إنسانية، فنفقد الثقة بأنفسنا ونرتمي في أحضان الغرب نستجدي منه المقاييس الأخلاقية والمبادئ العقائدية، وبذلك يتم لهم ما يريدون من خضوعنا لحضاراتهم وثقافتهم خضوعا لا تقوم لنا من بعده قائمة[15].

وبعد الهزائم الثقيلة التي أثقلت كاهل الصلبين، وعجزهم من السيطرة واستعمار الدول العربية شرعوا في تنظيم حملة دراسة أحوال هذه الشعوب العربية، ليتمكنوا من التعرف على نقاط القوة لدحضها ونقاط الضعف قصد استغلالها في الوقت المناسب، بعدما استولوا على خيرات الدول العربية سواء عن

---

[13]- مصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم ،المكتب الإسلامي،بيروت،لبنان،1980،ص 151.

[14]- أبي الحسن علي الحسيني الندوي: مقالات وبحوث حول الاستشراق والمستشرقين، إعداد: سيد عبد الماجد الغوري، ط1، ابن الكثير، دمشق، سوريا، 2002، ص15-16.

[15]- ينظر: مصطفى السباعي الإستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم ، ص 17.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

طريق الاستعمار العسكري أو التدخل في الشؤون السياسية والداخلية، أرادوا بث روح الضعف والشك في قدراتهم وفي إرثهم العريق، قصد الارتماء في أحضانهم وزرع بذور العبودية والخضوع لحضارتهم وثقافتهم ودينهم.

ج–الدافع النفسي:

إن حب المعرفة غريزة مغروسة في نفوس البشر منذ الأزل، فهو دائما يسعى للتعرف على أسرار الغير قصد إشباع رغباته المدفونة، وهذا ما يدفعهم إلى الرغبة في اكتشاف الآخر عن طريق الاطلاع على حضارته.

وهذه الغريزة "تكمن في طبيعة الإنسان نفسها من حيث هو كائن حي، ومخلوق مفكر، له خصائصه وآماله وأطماعه، وأهدافه ونزواته ورغباته وإحساساته، ولا بد أن يتمتع بوجوده المادي والفكري والنفسي على حد سواء، ومن هذه الدوافع رغبة الإنسان الطبيعية في المعرفة والاطلاع ونزعته الظامئة للتعرف على حياة الآخرين وأفكارهم، وغريزته التواقة لمعرفة أخبار الناس وأسرارهم وخباياهم "[16]

د– الدافع التجاري:

ومن الدوافع التي كان لها أثرها في تنشيط الاستشراق، رغبة الغربيين في التعامل معنا لترويج بضائعهم وشراء مواردنا الطبيعية الخام بأبخس الأثمان، ولقتل صناعتنا المحلية التي كانت لها مصانع قائمة مزدهرة في مختلف بلاد العرب والمسلمين[17].

نلاحظ أن البضائع الغربية منتشرة بشكل لافت للنظر في أسواقنا، وفي المقابل نجد عيون الدول الغربية تترصد وتتبع خطواتنا وتنتظر الفرصة لشراء ثرواتنا الباطنية بثمن زهيد، وكذا القضاء على مُنتجاتنا الوطنية وترويج بضاعتهم.

هـ– الدافع السياسي:

هناك دافع آخر أخذ يتجلى في عصرنا الحاضر بعد استقلال أكثر الدول العربية والإسلامية، ففي كل سفارة من سفارات الدول الغربية لدى هذه الدول سكرتير أو ملحق ثقافي يحسن اللغة العربية ليتمكن من الاتصال برجال الفكر والصحافة والسياسة فيتعرف إلى أفكارهم، ويبث فيهم من الاتجاهات السياسية ما تريده دولته.

وكثيرا ما كان لهذا الاتصال أثره الخطير في الماضي ،حين كان السفراء الغربيون – ولا يزالون في بعض البلاد العربية والإسلامية – يبثون الدسائس للتفرقة بين الدول العربية بعضها مع بعض وبين الدول العربية والدول الإسلامية ،بحجة توجيه النصح وإسداء المعونة بعد أن درسوا تماما نفسية الكثير من المسؤولين

---

[16]– أحمد سمايلوفتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1998، ص40.

[17]– ينظر: مصطفى السباعي: الإستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، ص 18.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في تلك البلاد وعرفوا نواحي الضعف في سياستهم العامة، كما عرفوا الاتجاهات الشعبية الخطيرة على مصالحهم واستعمارهم[18].

ونجد في كل دولة من الدول العربية سفيرا يمثل الدول الغربية، وهنا تكمن الكارثة إذ في كثير من الأحيان يتم التجسس ونقل الأخبار إلى جهات مختلفة قصد بث روح التفرقة والسموم بين شعوب الدول العربية.

إن المستشرقين كانوا رواد الدول الغربية في الشرق، ومن واجبهم أن يمدوها بمددهم العلمي وكانوا مصادر مؤكدة للغرب، يطلع بها على تفاصيل ومعلومات عن تقاليد الشعوب وبلدان الشرق، وعن طبيعتها و معيشتها ولغاتها وآدابها، حتى عواطفها ونفسيتها وذلك ليتسنى للغرب أن يبسط نفوذه وسلطته في الشرق[19].

و قد تمكنوا من التعرف على كل ما يتعلق بحضارة الدول العربية، من خلال التوغل في (العادات والتقاليد واللغة وغيرها)، وهذا ما يساهم مساهمة فعالة في القضاء والسيطرة والاستيلاء على ثرواتهم والتلاعب بهم.

و–الدوافع التاريخية:

هناك صراع منذ الأزل بين العالم الشرقي والعالم الغربي، الكل يرغب في السيطرة على الآخر، وهذا ما يبينه التاريخ عبر مراحله المختلفة.

ولعل تلك السيطرة"هي التي تلوح أمام أعين الباحث على الدوام، إذ أن العلاقة بين الشرق والغرب كانت عبر تاريخها الطويل تأخذ اتجاهات مختلفة، من حب ولقاء، وهجوم وعداء، وهدم وبناء، وإذا أمعن المرء النظر في التاريخ وجد خيوطا واضحة المعالم منذ القدم، حيث حاول الشرق والغرب أن يسيطر كل منهما على الآخر ومن الجلي أن الغرب كان عبر التاريخ أكثر هجوما وعداءا وأشد بطشا وقوة وطمعا، وقد ترجع هذه الحقيقة إلى تركيبه النفسي ونظره إلى الحياة وفلسفته فيها، ولكن هذا هو ما يؤكده التاريخ وما سجله من أحداث"[20]

ي– الدافع العلمي:

يوجد الكثير من المستشرقين الذين حاولوا دراسة الحضارة العربية الإسلامية رغبة في الاكتشاف والتطلع، وهذه الفئة غير مرحب بها في أوساط رجال الدين ورجال السياسة الغربيين ، بعكس الفئة الثانية التي تدرس الحضارة العربية الإسلامية قصد تشويه صورة الإسلام وتحريفه والقضاء عليه نهائيا.

---

[18]– مصطفى السباعي: الإستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم،ص 18-19.

[19]– أبي الحسن علي الحسيني الندوي: مقالات وبحوث حول الاستشراق والمستشرقين، إعداد: سيد عبد الماجد الغوري، ص15-16.

[20]– أحمد سمايلوفتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، ص43.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن المستشرقين نفر قليل جدا أقبلوا على الاستشراق بدافع حب الاطلاع على حضارات الأمم وأديانها وثقافاتها ولغاتها وهؤلاء كانوا أقل من غيرهم خطأ في فهم الإسلام وتراثه، لأنهم لم يكونوا يتعمدون الدس والتحريف ،فجاءت أبحاثهم أقرب إلى الحق وإلى المنهج العلمي السليم من أبحاث الجمهرة الغالبة من المستشرقين ،بل إن منهم من اهتدى إلى الإسلام وآمن برسالته. على أن هؤلاء لا يوجدون إلا حين يكون لهم من الموارد المالية الخاصة ما يمكنهم من الانصراف إلى الاستشراق بأمانة وإخلاص ،لأن أبحاثهم المجردة عن الهوى لا تلقى رواجا لا عند رجال الدين ولا عند رجال السياسة، ولا عند عامة الباحثين. ومن ثمة فهي لا تدر عليهم ربحا ولا مالا، ولهذا لا توجد هذه الفئة في أوساط المستشرقين[21].

3.مراحل الاستشراق:

يمكن تصنيفها إلى الحقب الآتية:

أ–المرحلة الأولى:

هذه المرحلة تبدأ مع ظهور رغبة الغرب في الاطلاع على ما حققه الإسلام من انجازات حضارية وعلمية بعد دخول العرب إلى الأندلس وصقلية، وبداية الاحتكاك بالعالم الإسلامي عن قرب، كان ذلك لا يمثل فتحا جغرافيا بل عهدا جديدا، وقد عبر كبير مستشرقي فرنسي (لويس ما سينيون) عن هذه الفترة بقوله إنها يقظة حضارية في أوروبا.

وفي سنة 1130 قام عالم (طليطلي) بإنشاء مؤسسة لنقل الكتب العربية إلى اللغة اللاتينية، وفي سنة 1158 وصل إلى انجلترا عالم طليطلي آخر يدعى (ابراهيم بن عذراء) لفت انتباه الناس إلى ضرورة تعلم العلوم الإسلامية وفنونها، فبدأ تكاثر الدارسين والمترجمين الأوروبيين المتخرجين من مدارس إسبانيا العربية والإسلامية[22].

ومن نافلة القول أن الدول الشرقية، كانت محل أنظار الدول الغربية، نظرا للإنجازات العلمية الباهرة التي توصل إليها العرب، هذا ما دفع الكثير إلى الاطلاع على هذه الانجازات، وذلك عن طريق ترجمة أعمال علماء الدول الشرقية إلى اللغات الأجنبية، وكذا دراسة حضاراتهم وتعلم لغتهم مهما كان الثمن، وكانت هذه بمثابة الخطوة الأولى وبداية الانطلاق والسيطرة.

ب–المرحلة الثانية:

تبدأ هذه المرحلة ببداية الحروب الصليبية، مع نهاية القرن الحادي عشر وبداية القرن الثاني عشر للميلاد، وقد وصف (شلبي النعماني) أوروبا في هذه المرحلة بأنها بقدر ما كانت تتعطش لسفك دماء المسلمين بسبب الخلافات والحروب الصليبية من جهة، كانت من جهة أخرى أكثر حرصا على الاستفادة

---

[21]– مصطفى السباعي الإستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، ص 19.

[22]– ينظر: الطيب بن إبراهيم، الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه(خاصة في الجزائر)، منشورات المجلس الأعلى الإسلامي، الجزائر، 2009، ص51.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من علوم العرب والمسلمين دون احتشام، واقتصرت جهود المستشرقين في بداية هذه المرحلة على الكتابات التي لا تمت للدين بصلة، وبلغت حملتهم ضد الإسلام وتشويهه ذروتها في نهاية المرحلة.[23]

ففي هذه الحقبة بالذات ظهرت مرحلة جديدة للصراع بين العالم الغربي والشرقي، عن طريق الحروب الصليبية التي جعلت حقد المستشرقين يزداد حقدا ورغبة في سفك الدماء، ومن جهة أخرى الشروع في تدوين أعمال علماء الدول الشرقية في مختلف العلوم (الفيزياء، الكيمياء، الطب وغيرها)، والعمل على تشويه صورة الإسلام وإطاحته.

ج–المرحلة الثالثة:

كانت هذه المرحلة مصاحبة للثورة الصناعية التي عرفتها أوروبا وعرفها معها العالم كله، وما نتج عنها من أفكار استعمارية وتوسعية، بحثا عن المزيد من الأراضي والثروات والمعادن والمواد الأولية واليد العاملة الرخيصة والأسواق الاستهلالية، وما لحق بذلك من توسع واستعمار مباشر وغير مباشر على حساب الشرق العربي والإسلامي من المحيط غربا إلى اندونيسيا شرقا.

وأمام هذا الانقلاب الصناعي الذي أحدث ثورة عالمية في عالم الآلة والصناعة، كانت حاجة الدول الأوروبية ملحة لخبرة خبراء الشرق، فتدخل هؤلاء بكل ثقلهم، وتدخلت قوتهم وسلطتهم المعرفية، فأصبح الانقلاب ليس صناعيا وحسب بل مركبا حضاريا متكاملا، علميا واجتماعيا واقتصاديا وثقافيا وتكنولوجيا. وأصبح الاستشراق العملة الأكثر تداولا ورواجا بين الغرب والشرق(...).

ففي القرن السابع عشر للميلاد أُنشئ في جامعة(كيمبريدج) و(أكسفورد) قسم للغة العربية، وكان هدف ذلك هو دراسة طبيعة المسلمين وكيفية التعامل معهم.

وفي هذه المرحلة غزا (نابليون بونابرت) مصر سنة 1789، واحتلت فرنسا الجزائر سنة 1830، واستمرت هذه المرحلة إلى غاية الحرب العالمية الأولى، وهي أطول مراحل الاستشراق، وهي مرحلة الأوج والازدهار.

لقد أصبح للاستشراق منذ بداية القرن التاسع عشر مؤسسات وتنظيمات ومنظمات تمثله بصفة رسمية، وتشرف عليه وترعاه، أبرزها المعاهد والجمعيات والمجلات المختصة، ومنذ 1850 تطور الاستشراق ولم يصبح يخضع للرغبات والهوايات، وأصبح لكل جامعة رئيسة في أوروبا منهج متكامل لفروع الدراسات الشرقية، وأصبح المستشرق معنيا أكثر بالتدريب الجامعي في الدراسات الشرقية، وأصبحت الجمعيات والوكالات والمؤسسات والحكومات ترعى الاستشراق وتسيره وتشرف على شؤونه[24].

عرفت هذه الفترة بروز الثورة الصناعية في أوروبا وانتشار فيروسها في العالم بأسره، وهذا ما خلف فكرة الاستعمار قصد الحصول على المزيد من الثروات (الذهب، الفضة، الذهب الأسود..)، وهذه الأخيرة

---

[23]– المرجع نفسه: ص51.

[24]– الطيب بن إبراهيم: الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه(خاصة في الجزائر)، ص52–53.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

توجد في الدول العربية الإسلامية، وأمام الأوضاع المزرية الناتجة عن هذه الثورة انقلبت الموازين، لذا اضطرت الدول الغربية الاستعانة بخبراء من الدول الشرقية.

وفي القرن السابع عشر للميلاد جاءت أول خطوة من خطوات الاستشراق ألا وهي دراسة اللغة العربية وتحليل نفسية المسلمين، بالإضافة لحملة (نابليون بونابرت) على مصر، واحتلال فرنسا للجزائر وغيرها من الأحداث التي أسهمت إسهاما فعالا في التطور والازدهار، حيث استمر الأمر إلى غاية بداية القرن التاسع عشر.

د-المرحلة الرابعة:

هذه الفترة بين الحربين العالميتين وما يليهما مباشرة، وهي مرحلة بداية تطلع شعوب الشرق المستعمرة إلى التحرر والاستقلال، وما صاحب مطالبها من القيام بثورات وانتفاضات، وظهور حركات فكرية وسياسية حديثة ماركسية وقومية وإسلامية وغيرها في الشرق العربي والإسلامي، مما جعل بريطانيا يتبادر بتقديم تقريرها الذي يدعو إلى ضرورة فهم الاتجاهات الجديدة في الشرق، وإلا تعرضت مصالحها للخطر، وكان هذا التقرير بمثابة "ميثاق جديد للاستشراق"، وهكذا أصبحت الحكومات تتدخل وتقوم بالدور الذي كان يقوم به الأفراد في وقت سابق، والذي أصبح من المستحيل عليهم القيام به لاحقا[25].

بدأت هذه الحقبة بين الحربين العالميتين وما فوق، وفيها بدأت الدول الشرقية تتحرر من أغلال الدول الغربية، ومعرفة نواياها الخبيثة من وراء هذا الاستعمار، والتدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية الإسلامية.

هـ-المرحلة الخامسة:

تمثل الثلث الأخير من القرن العشرين خاصة بعد حرب أكتوبر 1973 ، المرحلة التي أصبح فيها الذهب الأسود ومصادره يلعبان دورا مهما في استراتيجية الأحداث العالمية، وتزامن ذلك مع موجة المطالبة بالتحرر الاقتصادي وظهور الحركات الإسلامية ومناهضتها للغرب عامة، ولأمريكا خاصة، وتجلت معالم هذه العداوة لها أكثر من قبل حلفائها في المنطقة، وفي هذه المرحلة أنشأت الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1966 جمعية "دراسات الشرق الأوسط لأمريكا الشمالية"، ثم تبعتها بريطانيا بإنشاء (الجمعية البريطانية لدراسات الشرق الأوسط) سنة 1976.

لقد أصبح الشرق الأوسط على وجه الخصوص ، جوهرة الغرب التي تستحق رعايته وحمايته من كل طامع أو مشاغب يهدد مصالحه(...)، فالشرق الأوسط يزخر بثروة الذهب الأسود، الحيوية والإستراتيجية، زيادة على كونه يمثل القلب النابض للشرق العربي والإسلامي الذي جمع كنوز الحضارات الغابرة والأديان السماوية، بالإضافة إلى موقعه الجغرافي المتميز والمتحكم في القنوات والمضايق".[26]

---

[25]- الطيب بن إبراهيم،الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه(خاصة في الجزائر)، ص54.

[26] - المرجع نفسه: ص54-55-56.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعتبر حرب أكتوبر بمثابة الشعلة الوهاجة لبروز الرغبة في الانتقام من الدول الغربية التي تسعى إلى السيطرة على ثروات الدول الشرقية (الذهب الأسود...)، ودفعتهم الحيل إلى إنشاء ودراسة معالم الحضارة العربية الإسلامية، والسيطرة على الشرق الأوسط نظرا لموقعه الاستراتيجي وما تحويه من ثروات باطنية(...).

4-خصائص الاستشراق:

يتميز الاستشراق بعدة خصائص يمكن تلخيصها في:

- أدى دورا بارزا في بناء نظرية إيديولوجية استعمارية، وقام بحركات مريبة تهدف إلى زعزعة ثقة شعوب البلاد المستعمرة بدينها وحضارتها وآدابها.
- أثمر نشاطه دراسات وأبحاثا واهتمامات واكتشافات دفعت بضرورة متابعة البحث فيه.
- بحث في كل ما يتعلق بلغات الشرق وآدابه، واهتم بكل ما فيه من عادات وتقاليد واتجاهات وأجناس وقوميات وأفكار.
- قام بتنظيم الكتب العربية التي توجد في مكتبات أوروبا، ووضع لها الفهارس وسهل الرجوع إليها.
- أدى دورا هاما في التعريف بالفكر الإسلامي عامة وآدابه خاصة وتقدير منزلتهما معا بين الفكر العالمي وآدابه.
- رسم لنفسه منهجا مستقلا وامتازت دراساته بالتوسع والغزارة، وأعطى أصحابه مثالا لا يمكن أن يصل إليه الإنسان الدؤوب في عمله وبحثه.
- أثار قضايا علمية ومعضلات فلسفية ومشكلات اجتماعية وخلافات قومية، مما أدى أحيانا إلى صدامات فكرية ومناقشات حامية بين علمائه وعلماء الغرب.[27]

الخاتمة

بعد هذه المحطة التي خصصناها للاستشراق، توصلنا إلى النتائج الآتية:

- المستشرقون ينفثون سمومهم في الدين الإسلامي الحنيف.
- لم يترك المستشرقون مجالا إلا ودسوا مخالبهم فيه لتشويه صورة الإسلام والمسلمين وقلب الحقائق.
- سعى المستشرقون إلى دراسة العالم الشرقي من خلال الدراسات الاجتماعية والتاريخية والدينية واللغوية، قصد الهيمنة على الشرق.

---

[27]- أحمد سمايلوفتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، ص104-105.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

– رغم الإمكانات المادية والبشرية المسخرة من أجل تحطيم معنويات الدول الشرقية، إلا أن المفكرين العرب وقفوا بالمرصاد، من أجل المحافظة على العادات والتقاليد ومعالم الدين الإسلامي الحنيف، مصداقا لقوله تعالى: "يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ" [28].

قائمة المصادر والمراجع:

[1]– أحمد سمايلوفتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، مصر، القاهرة،1998 .

2– الطيب بن إبراهيم: الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه(خاصة في الجزائر)، منشورات المجلس الأعلى الإسلامي، الجزائر،.2009

3– مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، دار المعارف، مصر،القاهرة، ط2، 1972.

4– محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، 1988.

5.الندوة العالمية للشباب الإسلامي: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ط2، الرياض، 1989.

6– رودي بارت: الدراسات الإسلامية والعربية في الجامعات الألمانية، تر: مصطفى ماهر، القاهرة مصر، 1967.

7– أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي، دار النهضة مصر للطبع، مصر، القاهرة، ط25، (د.ت) .

8– محمد عبد الغني وحسن عبد الله الفكري: سلسلة أعلام العرب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، القاهرة،1957 .

9– مالك بن نبي: إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، مكتبة عمار للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1997.

[28].سورة التوبة،الآية 32.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

10-علي خليل مصطفى أبو العينين: فلسفة التربية في القرآن الكريم، دار الفكر العربي، مصر، القاهرة،1989 .

11- محمود حمدي زقزوق: قضايا فكرية واجتماعية في ضوء الإسلام، دار المنار، مصر، القاهرة، .1988

12- محمد البهي: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، دار الفكر، بيروت ، لبنان، (د.ت).

13- محمود حمدي زقزوق: قضايا فكرية واجتماعية في ضوء الإسلام، دار المنار، مصر، القاهرة،1988 .

14- علي حسني الخربوطلي: المستشرقون والتاريخ الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، القاهرة،1988.

15- مصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان،1980 .

16- أبي الحسن علي الحسيني الندوي: مقالات وبحوث حول الاستشراق والمستشرقين، إعداد: سيد عبد الماجد الغوري، ط1، ابن الكثير، سوريا، دمشق،2002.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com